التوجيه الثقافي في الجامعة

للأستاذ صلاح الدين الشريف المحامي

ليس من شك في أن موضوع الثقافة في كل دولة ناهضة أو آخذة بأسباب النهوض، لا يزال يحتل بحق مرتبة الصدارة في سياستها العامة، وما فتئ يحظى بأكبر جانب من عنايتها، فهو لا جرم معدود من أعضل المشاكل الاجتماعية التي تواجه ساسة الأمم وتثير الجم من نشاط رجال التربية فيها، لأن هؤلاء وأولئك يعدونه محورا يدور حوله كثير من مشاكل الاجتماع ومنبعا يصدر عنه شتيت من التيارات الفكرية في ألوانها المتباينة، وهذه لا تني تبني وتوجه وتكيف أخطر وأجل مناحي الحياة .

إذا عرفت هذا، وإنك لعارفه، ما عجبت البتة إذا رأيت في كل جامعة تقام وفي كل معهد علمي يؤسس ويلحق بالجامعة أداة فعالة لصقل الثقافة ووسيلة مؤاتية لاستنباط ألوان منها تكون أقرب رحما وأوثق صلة بماضي الشعب وحاضره وأمله في مستقبله، وما شككت في أن أول أغراض الروح الجامعي بالحياة هو رسم الاتجاهات الصائبة التي تنصرف إليها حيوية الأمة واحتفار الروافد الكافية لتنصب فيها تيارات نهضتها، حتى لا يكون أمرها فوضى ليس له من ضابط يحكمه ولا من هدف يرنو إليه . ثم لسلمت أيضا بأن من بدائه هذه الأغراض جميعا الكشف الدائب عن نواحي الضعف في النظر الاجتماعي والاقتصادي في الأمة وتهيئة المحيط العلمي الواقي وإعداد بيئة البحث التجريبي المنتج، ليتخلق في صعيدهما نفر كريم من رواد النهوض ودعاة الاصلاح وقادة الرأي وخدام الانسانية ومعينيها على التأدي بها إلى ما تهدف نحوه من رفيع الأغراض، في دائرة الوطن القومي وعلى مد المحيط الانساني الأكبر. وهذه الأهداف جميعها هي الوشائج الوثقى التي تربط ما بين الجامعات في أنحاء العالم كله، فتوجهها مترابطة متحدة صوب مثلها العليا في النهوض بالنوع الانساني بصقل غرائزه وشحذ عزائمه وتوجيه ملكاته وسوق قواه إلى النفع الانساني العام .

فاذا اتجهت سياسة الجامعات التعليمية إلى غير هذا المتجه، فلقد خرجت على رسالتها الأولى وهي أنها الحرم الأعلى الذي أقيم ليكون مرصدا يراقب الحياة التعليمية جميعها، ونسيت أنها الناقد البصير والهادي الأمين والمشرف الخبير الذي أودعته الأمة أعز وديعة لديها ألا وهي شبابها ومستقبل هذا الشباب .

فالثقافة الجامعية تدور إذن حول فهم الحياة التى يعاشها الطالب الجامعى والتى سيكافح صعابها ويقف ثابتا جلدا أمام أحداثها . وهذا الفهم فى ذاته هو سبيل إلى غرس ملكة التصرف الحسن وطريق إلى إيحاء السلوك الأقوم عند الاستجابة لمؤثرات ما يكتنف هذا الطالب الجامعى من ظروف وأحوال . و إن هذا العالم المائج المضطرب الذى تتراءى آماله وأفكاره وأعماله أمام عينيه لهو حقا اللغز المعمى والشاطئ المجهول ، ليس يقدم على تجليته وفهمه والاندماج فيه والتأثير فى مصايره إلا من كانت له من تربيته وثقافته عدة وافية تناصره كلما دبت به الرجل بين وعور الحياة وحفزته نوازع الطماح ونوازى الأمل إلى تمثيل دور كريم فى حياة المجموع يخرج بأدائه عن أن يكون مستهلكا غير منتج وعالة على الدولة والمموّل المجهود !

فلا بدع أن تكون كل جامعة مسئولة دوما عن تخريج شباب أجدر بالنجاح فى الحياة من أولئك الذين أعوزتهم عدد الكفاح الكاملة ، لتخلفهم عن إصابة حظ موفور من الثقافة العالية والتهذيب العلمى الراقى ، وليكون فى مكنة كل جامعة أن تسير فى طريق الانتاج التطبيقى فى الحياة العملية ، فتغذى أممها بطائفة من المبتكرات المادية والمعنوية فى مختلف مناحى الحياة ترقى بها إلى مستوى يليق بكل أمة تعرف للتعليم الجامعى قدره ومعناه .

فمجال النشاط الجامعى إذن يدور حول إبداع الشاب المثقف الذى كمّلت له إلى جانب فنه المتخصص فيه ، ثقافة نضيجة قيمة تعينه بحق على أن يشارك مشاركة إيجابية فى إبداع الأفكار وصقل النظريات وتمحيص المعتقدات وتوجيه الرأى العام ، الذى يعد الخريج وحدة فى بنائه ، توجيها موفقا مستنيرا ، وبالجملة حفز روافد الحياة فى الحركات الأدبية والعلمية وحياطتها بأسباب التأييد والتشجيع والإنماء وتخصيصها مما يأخذ عليها سبيل التحرر والإنطلاق فى سبيل النضج والاكمال والشمول والامتداد .

ولست بغال البتة إذا زعمت أن مهم التعليم الجامعى لا يعدو ، فى جوهره ، أن يفهم الطالب الجامعى معنى الكتاب وقيمة المجلة ، وهما بالطبع سبيل التثقيف والصقل ، وأعنى بالكتاب والمجلة الكتاب الدسم والمجلة العالية ، كيف يطالعهما ، والقراءة فن ليس يجيده كل من زحم نفسه فى غماره ، وكيف ينقدهما نقدا هو أقرب إلى استقامة الفكر وصواب الرأى وعدالة الحكم ونزاهة المأخذ ، وكيف يستمد منهما بعد هذا كله مادة وافية تنمى أفق التفكير فيه وتوسع محيط اطلاعه وثقافته ، ومن ثم وهذا هو الغرض الأصيل كما قررت ، تمهد له سبيل البحث العلمى وتعينه على الانتاج العقلى النافع ، ولعل هذين المطلبين هما أخص خصائص التعليم الجامعى الحديث .

ولو وقفت على مدى رواج المؤلفات ومختلف ألوان المطبوعات التى تخرجها دور الطباعة عند الغربيين بوفرة مذهلة على مدار العام ، ولو لاحظت فى كتبهم ومجلاتهم ، ولا سيما تلك

التي يصنّفها و يصدرها أساتيذ الجامعات ، وبضج البحث العلمي وقوة المعارضة الفنية ودقة النقد المحكم المضبوط بقواعد وأصول تهدى ولا تضل وتقدر ولا تحقر ، لما داخلك من جراء هذا كله إثارة من دهش ولا عجب ، ولأيقنت من فورك أن مرد هذا الخصب وذاك النماء إنما هو لقاح الروح الجامعي الذى أشاع فى مجموعة أمم هنالك لهفة متزايدة فى سبيل الاستقصاء والبحث ، بقدر ما أتى أعوانه وخدامه من ملكة يعتقلها هذا البحث ، وتجربة يرفع من قيمة نتائجها دأب المثابرة وعزمة الكشف ، وثقافة تفسح من رقعتها لهفة الاطلاع وحب التأمل ولذة الاستيعاب والفهم .

ثم إنك اذا سمعت فى بلاد الغرب بمكتشف علمى أو مستحدث صناعى أو مبتكر فنى أو مذهب أدبى أو قانون نقدى أو جاءك من هنالك نبأ افتتاح معهد عال لدراسات خاصة فى موضوع من المواضيع المشكلة التى فيها منافع للناس ، أو تأسيس مجمع أو ندى لعلماء فن معين أو فنون بعينها ، ليتداولوا بين جدران قاعاته وأبهاء مكتباته طرائف الرأى و يتقارضوا معادل النظر ، لوجدت أن الروح الجامعي كان سناده ومبناه ، فانما الذى أبدع هذا كله وأنضجه جمهرة عالمة مثقفة من أساتيذ الجامعات ورجال هذه المعاهد العلمية الملحقة بتلك ، يعاونهم فى رسالتهم النبيلة الطلاب الجامعيون الذين ملئوا بتأثير أساتذتهم ، شغفا بالبحث العلمى ، وأشربوا لذة التقصى وأشبعوا متعة التجريب ولهفة الكشف والفحص .

وهل ثمة داع إلى الدهش والعجب إذا عرفت أن عناصر التوفيق والنجاح هى الغالبة هنالك حتى أن مآسى الفشل ودواعى الخيبة تكاد لندرتها تحسب فى حكم الشواذ التى لا تجرى على قياس ولا تدور فى حسبان ، وأن حيوية الكفاح وطاقة الجهاد لا تعرف الفتور والخوف طيلة ضربها فى بيداء الحياة ؟ إن الشخصية القومية الطماحة المستقلة التى تعرف لذتها السامية فى خلق فرص الحياة وغلاب صعاب الأيام والتأثير الطيب فى عيش المجموع وتوجيه أدواره ومصايره ، إنما كان منبتها فى تلك التربية الجامعية الفنية بأسباب الحياة والنماء ، و إنما كان نعيمها فى مواصلة حياة الدرس ومتابعة طرائق البحث بعد التخرج فى معاهد التخليق والإنبات .

لنا أن نتساءل وقد عرفنا أن التعليم الجامعى فى أوربا وأمريكا يكوّن شطرا هاما من عملية التربية التى تجعل من الطالب عاملا لا عاطلا ، مبتكرا لا مقلدا ، هل ترى الشاب المتخرج فى جامعتنا يتأثر بلقاح ثقافى جامعى كامل يهضم عن طريقه الروح الجامعى و يستوفى به خصائص الشخصية المستقلة المنتجة ؟

لعمرى لا أعدو جانب الحق ولا أجوز جادة الاعتدال والقصد إذا قررت وقرر معى كثيرون من المشتغلين بأمور التربية عندنا ، أن طالب الجامعة يشبه طالب أية مدرسة

ثانوية أو ابتدائيـــة ، من حيث كيفية التحصيل وضيق دائرة النشاط العلمى ، وأن غاية ما يسعى إليه هو أن يكون صورة حاكية لعقلية أستاذه ، ولقد يقصر به السعى فيتعثر فى خطا التقليد وتكون له فى الحياة قصة كقصة ذلك الغراب المسكين الذى تاه بين قديمه والحديث !

إن جامعتنا بأساليبها الحالية لاتعين الاستعداد ولا تنمى المواهب والملكات ، ولكنها — والحق يقال — قـد أفلحت إلى أبعـد حد فى تدريب حوافظ الطلبـة وتقوية ذاكراتهم وابتعاث نزعة التقليد الأعمى فيهم ، وفى هذا كله قضاء أى قضاء على مقومات شخصياتهم التى لا يرضى لها المنصفون من المربين حياة جامدة تثقلها قيود المحاكاة الشائنة والتشبه الالى المقيت . ولعل أمر الإعداد والتثقيف فى هذا الدور الدراسى العـالى أجل وأخطر من أن يكون مجرد حشو لأدمغة الطلبة بالتافه والجليل حيثما اتفق و إخراج نسخ مكررة عندنا منها الكثير !

وكيف لعمرى نرجو لهذا الطالب الجامعى المريض شخصية مستقلة بذاتها ، إذا كانت عوامل بناء هـــذه الشخصية لا تتكون أو تتهيأ فى هذا الدور الدراسى الذى يخرج منه إلى الحياة وشيكا ؟ بل وكيف يسوغ لنا أن ننكر على هذا المتخرج فى جامعتنا أن يجبن عن النضال فى الحياة و يشفق من مكافحة خطوبها فتراه ينشد الوظيفة الحكومية مهما تفهت ، مفضلا حياتها المستقرة المتبلدة على حياة الكفاح والجلاد الصاخبة الداوية ؟

ولا عجب بعد هذا أن نستبين قصور الانتاج العلمى الجامعى فى نواحى حياتنا كافة ، ما دام جنود هذا الإنتاج — وهم خريجو الجامعة — ينشأون هذه النشأة البعيدة عن الروح الجامعى الصحيح ، بل لا عجب أن يعترف بذلك صراحة دكتورنا طه حسين بك فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " حتى ليقترح ، تنظيما لهـذا البحث العلمى ، ضم جميع الهيئات العلمية والثقافية المختلفة وهى المجمع اللغوى ، والجمعية الجغرافية ، وجمعية فؤاد الأول للتشريع والاقتصاد ، وجمعية فؤاد الأول للحشرات ، ومعهد فؤاد الأول للأحياء المائية وجمعية الأطباء وجمعية المهندسـين ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، كى يتكون من هذا كله " المجمع المصرى " على مثال المجمع الفرنسى و يمنح ميزانيات هـــذه الجمعيات المتناثرة ، ويكون بذلك بيئة علمية راقيـة منتجة تساعد الجـامعة وتثبت قوائمها فى مهمة البحث العلمى ، ما دامت أنها لم تؤد رسالتها بعد فى هذا السبيل .

ونعل كل هاتيك النتائج تدور حول سبب واحد هو العـلة لكل ما ينشأ عنه من آثار بعيدة تتناول بالتكييف والتشكيل عقلية الفرد وعقلية الجمـاعة ، هـذا السبب كما قررنا هو ضعف روح البحث العلمى وعدم تشجيع الانتاج الفكرى ، وقتل روح الابتكار والافتنان التى تعتمد على المواهب المنماة والملكات المثقفة وحرية الرأى والنقد . فما هى صور هذا الضعف

المعيب فى حياتنا العلمية ، وما هى الأسباب التى تحول بين الجامعة وتأدية رسالتها فى حياتنا القومية الخاصة فضلا عن الحياة الدولية العامة ، وبالجملة تقعد بها عن مشاركة جامعات العالم العاملة رسالتها فى الفتوحات العلمية الرائعة وابتكار المثل واصطناع الايحاءات التى تعلى من قدر الانسان وترفع له المستوى المعيشى الذى يحياه .

الطالب الجامعى يقضى حياته الجامعية فى شبه عزلة عن مكتبة جامعته العامة ومكتبة كليته الخاصة ، وهو لهذا قلما يحاول أن يتصل اتصالا عقليا منظما أو حتى شبه منظم ، بنخبة المؤلفين الأفذاذ الذين تحفل حوامل الكتب بمؤلفاتهم ورسائلهم ، فهو مغرور فى جهل مطبق إزاء هذا كله وليس يحاول أن يكلف ذهنه الغض أكثر من استظهار دروسه الموجزة فى صور محاضرات أستاذه ، وإنه ليحرص الحرص كله على استذكار هذه المحاضرات بجملها ونصوصها ، وبالجملة يحرص على أنه يصب فى ورقة الاختبار عقلية أستاذه بجملها وأساليبها وطرائق تفكيرها .

هذا فى التحريرى . أما فى الشفهى فإذا حدث أن كان لمسألة من المسائل العلمية أكثر من وجهة نظر واحدة ولأستاذه وجهة معينة ، وسئل أى الوجهات يؤيد اندفع اندفاعا مضحكا الى تأييد وجهة نظر أستاذه ولو كان مقتنعا فى ذات نفسه بوجهة نظر أخرى ! ! والطالب معذور ، فما دام نظام الامتحان لم يحل البداجوجيون مشكلته الى اليوم ليعوضونا خيرا منه فلا ندحة من أن يحرص المسكين على ترضية أستاذه الى أبعد حد ليفوز منه ، وهو المصحح وهو واضع الامتحان ، بأعلى نصيب من الدرجات يرفعه الى مرتبة الأوائل الأعلام وهذه تفتح له أبواب الحكومة ! !

ولعل حرص الاستاذ الجامعى على حمل طلبته على تفضيل أفكاره على أفكار غيره والتسليم بنقده وتجريحه لآراء سواه قد يبلغ به فى أحايين كثيرة حد الأنانية التى تدفع به الى الحرص على رواج مؤلفاته أو إظهار نفسه أمام طلبته فى صورة الذى جمع علم الأوائل والأواخر ، وكم حدثت بسبب هذه الأنانية المسيئة التى تجافى روح العلم ، من مآس ومهازل ذهب ضحية لها طلبة أبرياء ليس يعوزهم ذكاء ولا ينقصهم فهم ولا إدراك .

فليس لنا أن نلوم إذن هذا الطالب الذى لا يعرف طريق المكتبة ومن ثم لا يعرف طريق فهارسها للكشف عما تحويه من كنوز الكتب والأسفار تلك التى تعينه على حياة البحث والإنتاج طيلة مرحلة التثقيف الجامعى . وهكذا يتعلم الطالب الجامعى كيف يستذكر عن ظهر قلب وكيف يجيد عملية استظهار أيما إجادة ولكنه لا يتعلم مع الأسف كيف يقرأ ويعشق الاطلاع ويكون عميلا لإحدى المكتبات ، متابعا من تلقاء نفسه الحركات الفكرية الوطنية والأجنبية يعرض لها بالتقريظ والانتقاد فيساهم فيها بطريق ايجابى منتج . كما يندفع

بحافز غريزى غلاب الى اقتناء الكتب القيمة ليكون منها مكتبة منزلية تكون عماده فى البحث والمراجعة وتزجية أوقات الفراغ ، وبهذا يرفع مستواه العلمى والمادى ويكون عاملا من عوامل التجديد والبناء .

ولعل من بين النتائج السيئة الناجمة عن هذا الضعف الشائن ، عدم إقبال الطلبة المتخرجين على الالتحاق بأقسام الاختصاص العليا " الدكتوراه " وهى التى تعتمد على البحث العلمى والاطلاع الواسع المدى وشدة الصبر فى معاناة المسائل العلمية الدقيقة ، لأن الخريجين فى أقسام الدرجات العلمية العادية لم يهيأوا ، كما رأيت ، لمثل هذا المستوى العلمى الرفيع .

ولكن ما السبيل الى دفع الطلبة الى أبهاء المكتبات وتعويدهم زيارتها بدافع ذاتى قوامه حب البحث وشغف المراجعة وعشق الاطلاع ؟ سبيل هذا هو سبيل الروح الجامعى نفسه وأعنى به بعث حركة البحث العلمى من مرقدها لأن فى بعث هذه الحركة تركيزا لمعلومات الشباب الجامعى وتكثيرا لها وفسحا لآمادها وصقلا للملكات الغضة التى ترجو الأمة من ورائها أن تقوم بواجبها المرموق فى إنهاض حياة المجموع فى غير ما تعثر ولا وناء .

إن المحاضرات التى يلقيها الأساتذة نحو ، للأسف الشديد ، منحى الإملاء والفرض ويصبها الأستاذ فى آذان الطلبة صبا ، وهؤلاء يسارعون الى إفراغها فى كراساتهم إفراغا آليا دون أدنى محاولة يبذلونها لعملية الإصغاء أو الاتصال العقلى بينهم وبين ما يحاضرهم فيه أستاذهم فتتعطل عملية التمثيل العقلى طيلة ساعات الدراسة اليومية ، وتنصرف عناية الطلبة إلى مظهر هذه المحاضرات والعناية بتحبيرها وتبييضها والحرص على صب ألفاظ الأستاذ بحذافيرها دون ما تغيير أو تحوير فيها إلا ما ندر ! هذا فى حين أن المقصود من المحاضرة هو تفتيح أذهان الطلبة وتوجيه ملكاتهم الى كيفية معالجة البحث المشروح و إلى معرفة طرق التوسع فيه فى مظانه ومصادره ، فيحسن الإصغاء أولا ثم يحاول ما استطاع تدوين ملخصات موجزة لأقوال أستاذه تهديه عند دراسته التفصيلية ، فهذه خطوة تمهد لما بعدها وليست كل شىء فى التحصيل والانتاج .

ولكن الطالب فى هذا الذى يفعله مجافيا به الروح العلمى الحق ، جد معذور ، فهو كما قلنا مطالب بهضم برنامج واسع فضفاض ، مطالب بفهم عقلية أساتذته ، و إن كان فى الواقع لا يفهمها بل يماشيها و ستظهر آثارها ، مطالب بأن يعرف أكثر مما جاء فى مؤلفاتهم ، ولا عليه إذا لم يكلف النفس بمطالعة ما جاء به غيرهم لئلا يعطل عليه عملية فهم أستاذه ولا سيما أن هذا لا يطالبه بأكثر مما جاء فى كتابه أو محاضرته !

ولو أن هذا الأمر خففت آثاره السيئة أو تلوفيت بعض نتائجه الضارة عن طريق تكليف الطلبة بعمل أبحاث علمية جدية فى الفروع التى يدرسونها ، ولا حتى فى بعضها أو

فى واحدة منها ، حتى يعتادوا معالجة الدراسات الدسمة ويدربوا على تحصيل مواد البحث من بطون الكتب والمجلات العلمية ، فتستعيض عقولهم الشابة عن هذا الطريق ما فاتها دركه خلال الأول ، وتتجه الى تونحى الابتكار وتستشعر الحاجة الى إشباع ميولها الى الانتاج والى تعوّد التفكير الدسم الرصين .

ثم إن الفروق العقلية بين الطلبة وتباين ميولهم الذهنية والعاطفية كانت أحق بأن تجد أداة تنظيمها وصقلها وتوجيهها التوجيه السليم ، فى تنويع مناهج البحث وتكييف نواحى النشاط تنويعا حكيما وتكييفا ملائما يمكن الطالب من أن يجد فيهما مايلائم ذكاءه ويتفق واستعداده الطبيعى . فتتألف فى كل كلية مثلا شعب دراسية خاصة برآسة و إرشاد الأساتذة ويختار كل طالب الشعبة التى تلائم استعداده وتتفق وميله ليتوفر على إتقان الدراسة أو الدراسات التى يفضلها على غيرها وذلك عن طريق الاطلاع والمواجعة وتأليف البحوث . فكما أن الميول تختلف فى اختيار اللعبة الرياضية البدنية التى يفضل الطالب مراسها ، فان الأمر كذلك فى مجال الرياضة الذهنية التى تعتمد على ميول المواهب ومنازع الملكات .

ولسنا نغلو ولا نراعى مدى وقت الطالب خلال العام حتى نكلفه أكثر من طاقته ولا أوسع من جهده بل نجترئ فنرى تكليف كل طالب بعمل بحث فى كل عام على شريطة أن يكون من البحوث التى تستحق أن يقضى فى معاناتها مثل هذه الفترة الدراسية التى تسلخ ثلاثة أرباع العام .

ولكى تكون حركة التشجيع جدية ومنظمة لا بأس إطلاقا من أن تمنح جوائز قيمة لأحسن البحوث المقدمة خلال عام على أن تناقش هذه البحوث فى قاعة المحاضرات الكبرى مناقشة علنية ، وتخصص لكل كلية فترة زمنية معينة تحتفل فيها بمناقشة مثل هذه الرسائل الفائزة ، وذلك كله بعد أن تقرر لجان خاصة فى الكليات صلاحية هذه البحوث لمثل هذا النقاش . ويمنح صاحب البحث الفائز جائزته المقررة وسط علامات التشجيع والتقدير التى يحيطه بها جمهور الحاضرين .

وطبعى أن إفساح مدى الوقت للاطلاع والدرس والبحث والتأليف يقتضى ضغط المناهج قليلا لتفسح مجالا لهذا النشاط الذهنى الجديد ، ولو عرفنا أن المناهج الحالية فى معظم الكليات حافلة بالجوانب النظرية ، مليئة بصنوف الحشو المرهق والتطويل الممل ، لما تمهلنا فى الاقتناع بوجوب تعديلها على أساس عملى جديد يخفف من تلك الأعباء الفادحة التى ترهق ذاكرات الطلبة قبل أن تتجه إلى تكوين الملكات وتفتيح الأذهان وتربية الفطر ، ولولا ضيق المقام لضربت الأمثال الواقعة لمناهج أكثر الكليات .

ولعل وجدان الطالب وعاطفته لا يكادان يجدان فى مرحلة التعليم الجامعى الوسائل التى تهذبهما وتغذيهما وتوجههما توجيها سيكولوجيا نافعا . فمظاهر العناية بالفنون الجميلة من

موسيقى وتصوير وتمثيل وغيرها تكاد تكون معدومة . والغريب ان جمهرة المربين فى الجامعة لا يجهلون أهمية هذه الناحية الفنية التى تعقد لها خصيصا المؤتمرات الدولية ، بعد أن عرف فضلها فى غرس ملكتى الاعجاب والذوق السليم فى الشبان وتهذيب غريزتهم الجنسية والتسامى بها فى هذا الدور العاطفى الجامح إلى الابداع والابتكار ، والى ترقية سلوكهم نحو الجنس الآخر الذى يشاركهم التحصيل جنبا الى جنب على مقاعد الدرس فى الجامعة .

وليس أعون على تحقيق هذه الآمال جميعا من تنظيم العلاقة بين الطالب وأستاذه ، فلا ينظر هذا إلى ذاك نظرة الترفع والتسامى ، ولا ذاك الى هذا نظرة الكراهة والقطيعة ، بل يجب أن يشعر الاثنان بروح الأخوة الصادقة التى تربطهما بجبل الولاء للعلم وتجمعهما على التعاون فى سبيل الوصول الى الصواب والاهتداء الى الأقوم ، فاتصال الطالب باستاذه يوحى اليه حكمة التجربة وحنكة السن وحسن التصرف ورجاحة السلوك وسعة الصدر فى تحصيل العلم . كما أن اختلاط الاستاذ بطالبه يوقفه على مواطن الضعف فى نفسيته وعقليته فيعمل ما استطاع على تقويمها وتعديلها فى سن التحصيل قبل أن ترسخ وتختفر فى مجموعه العصبى معالم العادات المستقبحة . وفى هذه الناحية الخصبة يفتن الغربيون فى اصطياد الفرص اللطيفة والمناسبات السعيدة للجمع بين الطلبة والأساتذة فى جو يسوده التبسط والمرح والانطلاق من عقال النظم الصارمة التى تفرضها الدراسة ، فثم حفلات السمر البريئة وأعياد التعارف الظريفة والرحلات المدرسية والصيفية التى يغنم منها الطلبة أجل الفوائد وأبقاها الى كثير من أمثال هذه الوسائل الهينة الكلفة البعيدة الأثر فى حياة مجموع الشباب .

وأما بعد فيجب أن تكون الجامعة مستقلة فى تدبير الوسائل التى ترفع من مستواها العلمى والخلقى تحت إشراف ادارة قوية حازمة ، دون تعرض لأى ضغط من جانب الحكومة أو البرلمان . وبهذا وحده يستوى الأمر بجامعتنا العزيزة فتتجه كلياتها صوب المثل الأعلى للحياة الجامعية الحقة ، فتعمل كلية الآداب ، مثلا ، على تنشئة البيئة الأدبية الحية التى يتخرج فيها أفراد يبعثون الأدب المصرى القومى على منوال الآداب القومية الغربية فضلا عن بعث نزعات جديدة فى الأدب الانسانى العالمى ، وتعمل كلية الحقوق على تخريج ناشئة فنية تعاون على تخريج تراث فقهى قيم يجمع بين الشريعة والقانون ويجعل من مصر مهدا عالميا للثقافة الفقهية كما هو الحال فى فرنسا وكذلك تعمل كلية العلوم على مشاركة جامعات الغرب فى الفتوحات العلمية والنظرية . وهكذا قل فى سائر الكليات .

فمتى تنبعث أشعة هذا الفجر الجديد المتألق الذى يثير فى نفوسنا الطماح الى حياة العلياء والمجد ؟

صلاح الدين الشريف
المحامى